من تراب الطريق! (١٦٢)

الشاعر الأديب : (*) محمد عبدالله محمد

الأستاذ العلامة الجليل محمد عبدالله محمد لم يكن محاميا فقط من فلتات المحاماة فى القرن الماضى بطوله، ولا كان فقط عالما موسوعيا ضـــاربا بتعمق عريض فى كل باب من أبواب المعرفة، ولا كان فقط فقيها متميـــزا فى القانون ترك فيما ترك كتابا فى جرائم النشر لا يزال عمدة المراجع فى بابه رغم مضى أكثر من نصف قرن على تأليفه، وإنما كان أديبا وشاعراً، ترك درة فكرية فى " معالم التقريب "، ونظم على مدى سبعين عاما شعراً عموديا متميزاً صبر على عدم نشره حتى وقع فى يدى فأجبرته جبرا على نشره فى ديوانين : " العارف " و " الطريق " .

فى ديوانه " العارف " من قصيدة : " المسرح الحر" اخترت لـــك هـــذه الأبيات :

كل العواطف أشباه مسالكها ... فيها من الماء أو فيها من الـــنارِ
فقد تسل إذا ما طفلة ضَحِكتْ ... وقد تثورُ لدَى إيماءةِ الجَـــــارِ
هذى وتلك ثِقابٌ أو مناســـبة ... وما فؤادك فـــــى أىِّ بمُخْـــــتارِ
قنادِسِ النهْرِ تَبْنِى السدَّ جاهدةً ... هيهاتَ يثبُتُ ما تبنـــى لإعصـــارِ

***

دَمٌ يدورُ عجيباتٌ دوائـــرُهُ ... لا فرقَ فيهنَّ بين الفأرِ والأسَـــدِ
قد دَقَ منهنَّ قلبٌ نامَ صاحبُهُ ... وربما هَبَ من همٍّ ومـــن حَسَـــدِ
وربما حَمَلتْ نفـــسٌ مشـــاكِلَهَا ... فى جيدها - حبلاً مِـــــنَ المَســـدِ

(*) المال ٢٠٠٨/١١/١٣

هذا البَريدُ عجيباتُ رَسَائِلُـــهُ يَمْشِينَ بالسِرِّ بينَ الروحِ والجَسَدِ

•••

تينةُ الشوكِ لم تَبْسَمْ لراغبِهـا الرَّاضى بالبذْرِ وهى البذْرُ والحَسَكُ
تلك العواطفُ لا رِىٌّ ولا شَبَـعُ رَضْـعُ الحَصَى ! صومٌ ولا نُسُـكُ
وكيف تَفْتَـحُ أرواحٌ نوافِذَهـا حيثُ الترابُ مع الحَصْبَـاءِ يعتَرِكُ
حيث السمواتُ قد ضنتْ برحمتِها وصارَت الأرضُ أرضاً كلُّها شَرَكُ

•••

راقبتُ نَفْسِىَ - والدنيـا مشاهَـدَةٌ عَبْرَ الدُّخَانِ الـذى ندعُوه أفكـارَا
وقد تفرق عمرى خارجـى نُتَفـاً تَرْوِى - الليالـىَ والأيـامَ - أخْبَارا
لمـنْ ؟ الأمثالـى وعندَهـمُ من مِثْلِ هذا وقد ملُّوه تكـرارا
فى داخلِ البحرِ يرجو فَهْمَهُ سَمَكٌ البَحْرُ فى الفَهْمِ - إنكـارًا وإقْرَارا

•••

مهما تَفكَّرْتَ لم تُدْرِكْ سوى صِلَةٍ ما بَين فِعْلٍ وفِعْلٍ خَلْفَـها فِـعْلُ
لقد جَلَوْتَ كثيرا هل تَرَى أحـدًا إن الخِفاءَ كثيف حَـوْلَ ما تَجْلُوُ
إنَّا بَنَيْنا من الأسمـاء عالمنـا والكونُ لا يكتبُ الأسمـاءَ أو يَتْلُو
ولُجةُ البحرِ أعْجَـامٌ حوادِثُهَـا أنتَ الذى يَصِفُ الأحْداثَ والعـقْلُ